

## بنية النماذج المعرفية للزمن في اللغة العربية

د. عبد الكبير الحسني<sup>(\*)</sup>

### تقديم

يعالج هذا الموضوع أوضاع الزمن المعجمية والدلالية، الشيء الذي تطلب منّا بلورة معرفية نعمل من خلالها على تمثيل للمقوله (Categorization) بحسب النمط الزمنيّ الذي نسعى إلى التأثير عليه، كما يتطلب الأمر أيضاً صيغ عمل جديدة نحدد من خلالها إطار عمل توافقيّ (Framework Harmony) يجمع بين صيغة الفعل ومؤشراته الزمنية. هذا إلى جانب آليات سياقية تسمح لنا بتعيين الصيغة الموافقة للاستعمال. لذلك يمكن القول إن الاستعمالات تتحقق المقوله، وأن الصيغ توحد بنيتها الزمنية. فعندما نتحدث عن النماذج المعرفية المرتبطة بالزمن، فإننا نتحدث عن مدى قدرتنا على فهم النسق الزمنيّ من منطلق الارتباط العام الذي يؤلّف بينها وبين الوحدات المعجمية التي تتكمّل بهدف تحقيق أنماط معرفية متميزة عن غيرها بالثبات والاستمرار.

هذا ما جعلنا نفترض أن الجوانب الجوهرية للنماذج المعرفية المحيلة على الزمن مرتبطة بشكل نسقي مع الوحدات المعجمية من قبيل: الحركة والمكان والفضاء، من حيث توضعيهما في الفضاء. الشيء الذي يساهم في ضبط سلوك الإحالة الزمنية ومسقطها، إذ نتمكن من رصد "المكان" ضمن إطار زمنيّ مؤشر

(\*) أستاذ باحث في مجال اللسانيات، الرباط - المغرب.

عليه بوسائل مثل: الأحداث والكيانات، لذلك تظل الوظيفة العامة التي تصطليع بها هذه النماذج المعرفية متمثلة في تحديد الإطار المرجعي المساهم في تقييم التجربة المرتكزة تحديداً على كشف "البعد الزمني" وثبتت "إحالته الزمنية".

تتيح لنا إمكانية الاشتغال على الدلاللة المعرفية استنباط افتراضات تعكس بجلاء طبيعة الأنماق المعرفية التي يعمل الدماغ البشري على رسم حدودها، فنحن حين نريد أن نموقع (حدثاً، لحظة، فترة... ما) فإننا نستخدم مجموعة من العبارات التي تحتوي في بنيتها تصورنا العام عن الفضاء<sup>(1)</sup>، الشيء الذي يجعل من البنية العامة للزمن بنية محيلة ومؤطرة للبعد المكاني وللحيز الفضائي الذي تؤشر عليه اللغة، بناء على وسم (Marking) العلاقة التي تربط المتكلم بإمكانات تحركه في الفضاء، فالذات، عندما تعمل على موقعة المكان/ الحيز/ الحدث/ لحظة.. معينة، تكون هي مركز الإحالة، لأن موقعة هذه الموضوعات لا يمكن أن تتحدد قيمتها إلا بالنظر إلى مركزيتها. وعليه، ندرك أن الإحالة الزمنية تبني تحديداً على ثلاثة أبعاد أساسية، نفترض من خلالها أن اللغة العربية تملكتها لكي تعبر عن نسقها الزمني.

### 1- ضبط سلوك الإحالة الزمنية.

من الاقتراحات الأساسية التي نعتمد عليها في رصد سلوك الإحالة الزمنية ما تم تقديمها في "اي凡ز" (2004)<sup>(2)</sup>، الذي حاول أن يجعل من التجربة البشرية أساساً لبناء إحالة زمانية دقيقة، بل إن الوعي بهذه التجربة ومحاولة فهمها فهماً دقيقاً يقود، بالتأكيد، إلى رسم تصورات دقيقة وذاتية تتكيف مع المنظور الذي فهمنا من خلاله الزمن، الأمر نفسه نجده مهيكلًا في عمل "لايكوف وجونسون" (80)<sup>(3)</sup> الذي نبهنا إلى وجود سلطة استعارية تساهمن في خلق معنى

(1) عبد المجيد جحفة (2000)، مدخل إلى الدلاللة التوليدية، ص 115.

(2) للمزيد من التفاصيل انظر : "ايافنز" (2004).

(3) لايكوف و جونسون (1980). ص، 21.

جديد ينظر إلى التجربة الخاصة مع الزمن من زاوية أنها محدودة، بحيث أننا نرصد الماضي بناءً على الأحداث المذكورة (المخزنة)، ونفهم أن الحاضر هو ما نعيه لحظياً (الآن)، أما المستقبل فيرتبط بالأحداث المتمنية بها.

الملاحظ أن هذه المعاني أو التصورات يمكن أن تؤشر بشكل مباشر كون المحيط الزمني في العربية قد بني، تحديداً، على ترتيب هذه المفاهيم نموذجين: خطٌ خلفي تقرأ من خلاله الأحداث المخزنة ويكشف عنها بالنظر إلى ما فات. وخطٌ أمامي يُمكّننا من وضع تنبؤات حول ما يمكن أن يقع من أحداث آمامنا. لذلك ندرك أن هذا الخط يُمكّننا من وضع مخططات وافتراضات وتنبؤات لا تصح أن تسقط على الخط السابق. ثم خط آني (الحاضر) يُمكّن من رصد اللحظة ومعايشتها، ويحصرنا في مجال زمني ضيق لا يسمح لنا بتجاوزه أو تخطيه طوعية. ولرصد هذه الحدود ننظر في السياقات التالية:

(1)- أ- أتذكر قصتي مع الدراسة.

ب- \*أتذكر قصتي في المستقبل.

(2)- أ- أتبأ لك بمستقبل زاهر.

ب- \*أتباً لك بماضٍ زاهر.

(3)- أ- أعيش لحظتي بكل سعادة.

ب- \*أعيش لحظتي في المستقبل.

ج- \*أعيش لحظتي في الماضي.

في تصورنا للزمن، من المؤكد، أننا قد نجني فائدة كبيرة من الغنى التصوري المتأصل في المجال الفضائي بالكامل، وفي تمثيل بناء عناصره على أساس النسق الزمني. تُمكّننا البنية الواردة في (1) من رصد أن ما يجري في الماضي (أ) لا يمكن أن يتماثل مع ما يجري في المستقبل (ب)، لأن التقاطع الزمني لا يوفر مؤشرات محيلة تواءم مع سمات الفعل الزمنية، بمعنى آخر أن الخط الخلفي

لا يمكن أن يتقطع مع الخط الأمامي بالنظر إلى وسيط [± حدث ، زمن]. هو الأمر الذي يجعل من البنية (1ب) بنية لاحنة، لأن تذكر القصة باعتبارها حدثاً متأصلاً في الماضي لا يمكن له أن يتوازى أصلاً مع الخط الأمامي المحيل على المستقبل.

الأمر نفسه نجده مؤكداً في البنية الواردة في (2أ) التي تجعل من حدث التنبؤ حدثاً ذا قوة قضوية أكيدة بالنظر إلى احتمال وقوعه ضمن حيز زمني أمامي، لذلك فمجال هذا الخط لا يزال متداً بالنظر إلى إمكان إدراكه وحدوده، لكن ما يجعل البنية (2ب) بنية لاحنة كون حدث التنبؤ لا نجد له امتداداً زمنياً، بل إن الانقطاع الزمني مع الحدث يفسّر ضمنياً انقطاعاً للخط الزمني مع الماضي، وبالتالي تسقط البنية منطقياً.

أما في (3أ) نجد أن حدث المعايشة يرتبط ضمنياً بالموازاة القائمة بينه وبين تمركز الذات اللحظي (الآن)، لذلك ندرك أن الذات تتاهي مع الحدث على خط موازٍ، هو التاهي الذي يفسّر إمكانية رصد اللحظة والحدث بصورة مختلفة عن تلك التي نصادفها في البنى الزمنية الأخرى، هو الشيء الذي لا نجده في (3ب) و(3ج) اللذين لا يتوفران على نفس القراءة، بل إن ما يجعل منهما بنيتين لاحتين هو عدم وجود إمكانية لرصد ذلك التاهي الذي تحدّثنا عنه، فعيش اللحظة آلياً لا يمكن أن يقرأ زمنياً من خلف الذات ولا من أمامها، لأن الأمر لا ينسجم مع التصورات الممكنة التي تتم قولبتها (Modulation) زمنياً وفق مساهمة واضحة من التجربة اللغوية<sup>(4)</sup>.

وعليه، قد نستخلص أن هذه الخطوط الزمنية لا تتقاطع فيما بينها إلا في اللحظة التي تعي فيها الذات أنها مركز إشاري محيل على أحدهما، فجميعها

---

(4) محمد غاليم (2002)، الأبجدية الدلالية والتوليد، ضمن "المعجم العربي المولد"، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعریب ، ص 176، الرباط.

تجعل من الذات محور امتداد ينطلق من الماضي، ويمرّ عبر الحاضر، ثم يتبنّأ بالمستقبل، "لأن الزمن حي والحياة زمانية"<sup>(5)</sup>.

تملك هذه التنويعات الزمنية علاقة مباشرة بالشخصي الدلالي للإحالة الزمنية، لأن هذه البنى تشكل خطوة شمولية يتدخل فيها الزمن مع مجموعة من الروابط المحيلة التي تنسجم مع مبدأ التأويل العام (Général interprétation)<sup>(6)</sup>، فالالتباس الحاصل في الأمثلة اللاحقة يرجع إلى أن الحاضر المكتمل يشترط تصدير الصيغة الفعلية بموجه زمني (قد..سوف...س..) لأن الظرف في اللغة العربية لا ينبع زمن الإحالة لأنه يرتبط بزمن الحكي، وليس بزمن التلفظ<sup>(7)</sup> كما أن جهة بعض الأفعال الداخلية لا تسمح بالامتداد والاسترسال في زمن الحاضر لأنه يشكل فاصلاً متداً رابطاً بين الماضي والحاضر.

### 1.1 – أبعاد الزمن في العربية.

تملك كل لغات العالم، نموذجيًّا، أشكالاً تميّز من خلالها الأبعاد الزمنية في علاقتها بالمكان، هي الأبعاد التي يتم بناؤها بحسب الجهاز الفطري الذي تمنحه التجربة اللغوية عبر الربط التأليفي بين التصورات المعجمية والذاكرة باعتبارها خزانًا قابلاً للاستعمال، إلى جانب المكونات الصواتية والتركيبة<sup>(8)</sup>. فاللغة العربية، بهذا المعنى، تُستخدم في التعبير عن الزمن مجموعة من حروف الجر التي تعمل على توزيع النسق الزمني على أبعاد ثلاثة: البعد الصفري الذي يستخدم في اللحظات الزمنية الآنية (لحظة)، والبعد الثنائي الذي يستخدم في التعبير عن الفترات الزمنية المحددة، (عيد الميلاد، الأعياد الوطنية، الأيام العالمية...)، ثم

(5) كاستون باشلار (88)، جدلية الزمن – ترجمة خليل أحمد خليل، ط 2، ص 15.

(6) مبدأ يقوم على ضرورة التمثيل للسمات الصورية المبنية على واجهتي الصوت والدلالة، في محاولة للبحث عن اشتراكات قابلة للتأويل.

(7) للتعرف على حدود التمايز بينهما يرجى الاطلاع على عمل محمد الملاخ (2010)، الزمن في اللغة العربية، منشورات الاختلاف، ص 370.

(8) محمد غاليم (2002)، ص، 175.

بعد الثلاثي الذي نعبر من خلاله إلى الفترات الزمنية من حيث الطول أو القصر، (الامتداد الزمني)، وهو الأمر الذي نوضحه في الجدول التالي:

النقطة الزمنية المرجعية	الأمثلة	الأبعاد
(الآن)	- في هذه اللحظة	البعد الصفرى
(22 أكتوبر 1979)	- في عيد ميلادي	ثنائي الأبعاد
(الامتداد عبر فترات زمنية قد تطول أو تقصر)	- في غضون شهر	ثلاثي الأبعاد

شكل 1: نموذج للأبعاد الزمنية في العربية

الجدير باللحظة أن هذه الأبعاد المرتبطة بالفضاء الزمني، بالتأكيد، لا يتم انتقاها عشوائياً داخل جميع اللغات، انطلاقاً من فرضية أن هذه التحديداً ربما تكون قد شكلت أو تأسست من منطلق السيرورة التاريخية للغة<sup>(9)</sup>، هو الأمر الذي يعكس أن جميع اللغات قد تباين في التعبير عن أبعادها الزمنية بالطريقة التي يتاحها لها نسقها اللغويّ، من جهة، والإمكانات الإدراكية التي توفرها لاستعمالها في عملية حسابها، من جهة أخرى، لتشكل بذلك نمطها الخاص في التعبير عنها. إذاً فهي تخرق القاعدة لكنها لا تشكل الاستثناء. هذا التباين يعكس أن جميع اللغات تبحث عن وسائل تنظم من خلالها هذه الأبعاد وفق المستلزمات الإدراكية المبنية على نظام قياس إدراكي، نوضحه من خلال البنى التالية:

. (4) - أ - انتهت المقابلة في هذه اللحظة بالذات.

ب - تحفل المرأة بعيدها في 8 مارس من كل سنة.

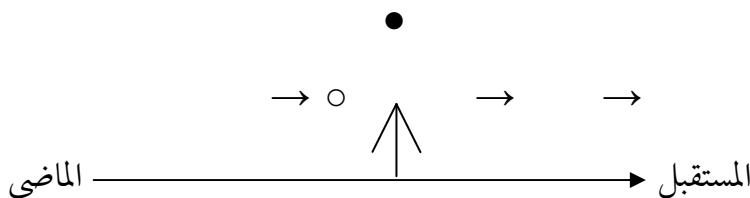
ج - سأسافر إلى باريس في مطلع السنة المقبلة.

(9) Radden, Günter. (2003). *The Metaphor TIME AS SPACE across Languages*. Baumgarten, Nicole/Böttger, Claudia/Motz, Markus/Probst, Julia, (eds.) Hamburg, p (27).

إذا كانت هذه البنى تتقاطع في كونها تحمل إشارات زمنية أكثر منها فضائية، فهي تُفسَّر من منطلق أن ما هو فضائي لا بد وأن ينسجم مع متطلبات زمنية معينة، فهذه المواقف تجعل على حصر الزمن في نقط محددة، تؤشر على إمكان صياغة قراءة منطقية محكمة بـ"المدى الزمني المكتمل" (Perfect time span) كما هو مؤشر عليه في (4ب)، أو بـ"فاصل زمني فرعي" (Subinterval propertie) كما هو مبين في (4ج)، أو بالمعنى الممتد (4أ) الذي يحكم التأويل المنطقي العام للسياق الوارد في (4).

لذلك يتم الربط بينها لرسم أبعاد محسوبة بدقة، تعمل على تفسير النسق الزمني للغة العربية. مبدئياً، هناك ثلاثة أبعاد تعبر عنها الجمل الواردة في (4)، هي الأبعاد التي تعمل على تفسير البنية الواردة في (4أ) كونها تقتضي قراءة رأسية توالي بين الذات، باعتبارها نقطة زمنية إحالية، وبين حدث نهاية المقابلة أفقياً. هو المعنى الذي يوضحه الرسم التالي:

حدث نهاية المقابلة



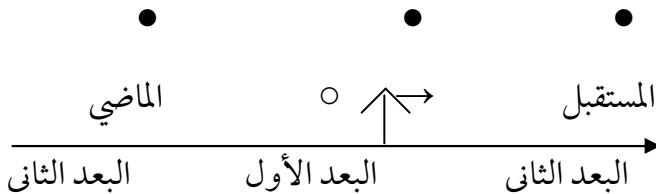
شكل 2: رسم توضيحي لعلاقة التوازي بين الذات و الحدث

فالتوالي القائم بين الذات والحدث هو الذي يجعل من قراءة المثال مؤولة على بعد الصفر؛ أي أنها يتلاطمان داخل فضاء زمني واحد ، على الرغم من وجود ما ينفي أن تكون هذه العلاقة مؤشرة على بعد من الأبعاد<sup>(10)</sup>. هو الأمر

(10) Haspelmath, M (1997) , *From Space To Time*, LINCOM EUROPA, München, Newcastle, p (22).

الذي نجده مخالفًا عندما ننظر إلى البنية الواردة في (4ب) التي تؤشر على لحظة زمنية محددة، لكنها تهابز عن غيرها لكونها تتموضع على بعد مسافة زمنية مضبوطة. الشيء الذي يفسر أن الذات عندما تؤشر زمنياً على ذلك فإنها تستدعي، إدراكيًّا، عملية حسابية نقيس من خلالها الفترة فتكون الحصيلة بعدين، بعد اللحظة التي تتموضع فيها الذات، وبعد اللحظة التي من المفترض أن تقع (المستقبل)، أو أن تكون قد وقعت (الماضي)<sup>(11)</sup>.

... 8 مارس 2006 1 بعد ... 8 مارس



الشكل 3: رسم توضيحي للبعد الثنائي في العربية

تقود القراءة التي تمنح قوة إجرائية في عملية تحديد الأبعاد الزمنية في العربية نحو بناء استيعاب واضح بكيفية الربط بين الحركة والفضاء، هذا الرابط الذي ساهم في اختيار الدوافع التي تقود نحو منسقة الإطار الزمني<sup>(12)</sup> مع القبض على معالم تمكننا من معالجته. فالشكل (3) يوضح أن الذات تقرأ فضائياً

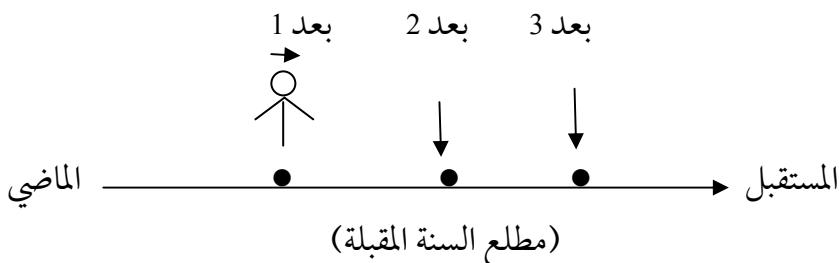
(11) هناك مجموعة من المسوغات التي تعمل على خلق نوع من التوافق أو التوازي بين العبارات الزمنية والفضائية، خصوصاً عندما نريد أن نعبر عن دلالة الامتداد (امتدت المقابلة إلى الأشواط الإضافية) (امتد الطريق السيار حتى أكادير)، فإذا كان السياق الأول يحصر البعد الزمني في الربط بين كل الأجزاء التي تشكل المسار الزمني الممتد إلى الأشواط الإضافية، فإن السياق الثاني ينحصر مساراً فضائياً يربط هو الآخر بين كل الأجزاء التي تشكل المسار الممتد حتى أكادير، ومن ثمة خلق نوع من التوافق بينهما، إلا أن الأمر لا يعني دائمًا ذلك بالنظر إلى أن طبيعة الأبعاد التي تكون كل واحد منها، فتحن لا تصور الفضاء باعتباره خطًا واحدًا، أما الأزمنة فتصورها سيرورة منظمة في خط تسلسلي يخترقنا ونخترقه.

(12) Haspelmath,M (1997), *From Space To Time*, p. 22.

كونها تشكل بعدها أولياً، لأنها تمثل منطلقاً إحاليّاً مركزيّاً، أما بعد الثاني فتؤسسه النقطة الزمنية (8 مارس) الذي يصادف الاحتفال باليوم العالمي للمرأة، وهي نقطة يمكن أن تقع على المحورين الأمامي أو الخلفي لأنهما مبنيان على فعل السيرورة القادم من (الماضي) نحو (المستقبل) بناء على نسق الامتداد، لكن الشيء المثير للجدل هنا يتحدد في أن (8 مارس) تشكل بعدها إحاليّاً رغم موقعها في أزمنة لا توازي تموقع الذات، الشيء الذي يجعلنا نؤول النسق كونه ثنائي الأبعاد.

أما في البنية (4ب)، فالتأكيد أننا نستشعر تغييراً في عملية الإحالة، بالنظر إلى عدم وضع تاريخ محدد ومضبوط يتم فيه حدث السفر، الأمر الذي يجعل المجال مفتوحاً على أي لحظة من اللحظات التي تربط بين الذات وبين حدث السفر من جهة، وبين الذات واللحظة الزمنية التي سيتم فيها هذا الحدث من جهة أخرى، بمعنى آخر، ستكون الذات والحدث واللحظة هنا أبعاداً مؤسسة على التنبؤ والافتراض الذي يوجه المسار الزمني نحو الأمام، فالاختلاف بين هذه البنية والبني الأخرى (4أ) (4ب) كونها ت موقع اللحظة والحدث في الأمام، لكنها تتقاطع مع (4ب) في إمكانية بعد الثنائي أن ي موقع إحالته الزمنية في الأمام، لتوضيح ذلك نتأمل الشكل التالي:

الحدث ..... ← لحظة



الشكل 4: رسم توضيحي للبعد الثالث في اللغة العربية

ما يجعل القراءة مبنية تحديداً على ثلاثة أبعاد، يفسر من منطلق أن الذات تؤشر إلى لحظة زمنية أمامية مؤطرة، مرجعياً، بحدث مفترض، هذا الحدث الذي يمكن أن يقع في أي نقطة من النقطة التي تربط بين البعدين الثاني والثالث<sup>(13)</sup>.

جدير بالذكر أن اللغة العربية عندما تستلزم هذه الأبعاد، فإنها تقترن في ذلك تحيقًا زمنياً متبيناً، يوصف بعدم التجانس من حيث أبعاده، وبالارتباط من حيث السيرورة التي تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، مما يفسّر أن اللحظة الزمنية تستعيّر بعداً صفتياً في التعبير عن الحاضر، باعتباره نقطة زمنية آنية، أما المدة فيتم وصفها من منطلق بعدين تستعيّر من خلالها الطول أو القصر، سواء توقعت في الأمام أو في الخلف بناء على المدى الزمني للحدث الذي يعمل على نقل الحدث من الماضي إلى المستقبل ويتمدّ به. إضافة إلى ذلك، نصادف أن اللغة العربية تستعيّر في التعبير عن الفترة الزمنية ثلاثة أبعاد ترتبط بالامتداد إذا كان التركيز على مبدأ الاستمرار، أو "الفترة" إذا كان التركيز على مدتها، كما هو الحال عندما نتكلّم عن عمل مشترك جمع بين اثنين مدة سبع سنوات مثلاً، فهي فترة زمنية مؤطرة من حيث المدة التي يستغرقها العمل المشترك، وبالتالي فإنها تعمل على تخصيص حيز زمني أو مساحة زمنية يطبعها الامتداد<sup>(14)</sup>.

## 2.1 – طرق بناء الإحالة الزمنية.

إذا كانت بعض الأدبيات اللسانية قد تحدثت عن الإحالة الزمنية من جوانب مختلفة توزعت بين مقاربات تقليدية قادها نحويون عرب قدامي (الزخيري في المفصل، ابن يعيش في شرح المفصل، سيبويه في الكتاب)، أو

(13) إن هذا التحليل يتناقض مع بعض الطروحات المقترحة من طرف العديد من الفلاسفة الذين تصوروا أن العالم يمكن أن يُقسم زمنياً إلى أربعة أبعاد، منطلقين في ذلك من اعتقاد أن الفترة الزمنية قد تشكل بعداً مستقلاً، ووفقاً لهذا التصور فإنه تم تقسيم أجزاء المكان والفضاء إلى أربعة أبعاد مبنية على السيرورة.

(14) Radden, Günter. (2003). *The Metaphor TIME AS SPACE* across Languages., p 228.

أخرى حديثة قادها مجموعة من اللسانين أمثال (تمام حسان ، الفاسي الفهري، كمري...) هي المقاربات التي توزعت بين ما هو دلاليٌّ، تركيبيٌّ، منطقىٌّ، وتدالىٌّ.. التي حاول عبد المجيد جحفة أن يلخصها في ثلاث فرضيات، مؤسساً إياها على أعمال كل من "داوتي" (86)، و"فاندلر" (Vandler) (67)<sup>(15)</sup>، إذ يربط بعضها بجانب اعتبار الزمن اللغويٌّ قرينة إ حالية، مثله في ذلك مثل باقي المقولات التصورية الأخرى كالشخص والفضاء.ويرتبط بعضها أيضاً بالمؤشرات العائدية أو الإشارية التي تضبطها (الإحالات) مثلها في ذلك مثل المؤشرات الإحالات الأخرى كالضماير وأسماء الإشارة. وقد يرتبط جزء منها أيضاً بمشكل الترتيب الزمني للطبقات الجيئية التي نؤول من خلالها الأفعال والجمل. قد بنى "ريشنباخ" (47) الإحالات على مبدأ القرينة المتينة في الاعتبار الأول، مطوراً إياها لكونها لا تعتمد على نقطة ارتكاز واحدة، وإنما أسس ذلك على ثلات نقاط: زمن الإحالات وزمن التلفظ والحدث. وهذا الأمر الذي قدم حوله "جحفة" (2000) مجموعة ملاحظات نجملها في اعتباره أن هذه البنيات الثلاثة تؤدي المعنى نفسه، خصوصاً عندما نعي أن التراكيب تبني علاقتها الزمنية فيما بينها، فكيف يمكن لهذا النسق الثلاثي أن يتجاوز حدود الجملة<sup>(16)</sup>؟ هو سؤال نجد إجابة عنه عند "كمري" (81) الذي عمد إلى صياغة مجموعة انتقادات أوردها "جحفة" (2000) لنسب "ريشنباخ" على الشكل التالي:

أن علاقة السبق التي أوردها "ريشنباخ" ينبغي أن يتم تكييفها مع كل اللغات، من منطلق ضرورة التمييز بين درجات التباعد بين الماضي والمستقبل، كما أن هناك مجموعة من اللغات التي تتالف من أزمنة نسبية، فنجد لها ترابط بين الإحالات والحدث، ولا يتم الربط بينها بزمن التلفظ، فالعلاقة بين الإحالات والتلفظ ليست ضرورية في تحديد الأشكال الزمنية<sup>(17)</sup>.

(15) للمزيد من الاطلاع على هذه الفرضيات انظر : جحفة (2000)، ص، 20.

(16) أنظر جحفة (2000)، ص، 39.

(17) أنظر جحفة (2000)، ص، 40.

إذا كانت كل هذه الملاحظات والانتقادات التي أبدتها كل من "جحفة" و"كمري" تستدعي الكثير من المعالجة والتدقيق، فإنها تعطينا الضوء بإمكانية فرز معطيات جديدة تعود نحو تشكيل نسق جديد تُبنى من خلاله الإحالة الزمنية، هذا النسق الذي ينطلق من إمكانية وضع طرق جديدة نضبط من خلالها سلوكياتنا التي تساهم في تأويل معطياتنا الزمنية، بل إن هذه السلوكيات هي التي تكون حاسمة في بناء الإحالة والتأكد عليها، إذ تمنحنا إمكانية وضع العديد من التنبؤات نفترض من خلالها وجود طريقتين أساسيتين في بنائهما، طريقة أولى تنظر إلى الإحالة من منطلق تحرك الذات عبر الزمن، والثانية تنظر للأمر من منطلق تحرك الزمن وتتوقع الذات على نقطة محددة، مرتكزين في ذلك على العمل الذي قدمه "إيفانز" (2004)، الذي حاول أن يؤسس للإحالة بناء على هاتين النقطتين، وقد سبقه في ذلك عدد من الباحثين أمثل: "كلارك" (73)، و"لايكوف وجونسون" (80)، "لايكوف" (93)، الذين حاولوا، أيضاً، أن يعالجو مشكل الإحالة الزمنية معتمدين في ذلك على هذين النموذجين (نموذج تحرك الذات، ونموذج تحرك الزمن)، وكل إحالة لا يمكن أن تخرج عن هذين الإطارين، بل إن كل إحالة تستند، في تأويلها على مركزية الذات وسيورة الزمن، لذلك كانت هناك ضرورة تدعوا إلى ضبط هذه المعطيات ضبطاً يُحيلنا مباشرةً على فهم الإطار المرجعي المرتكز على نماذج معرفية ذاتية ونماذج معرفية زمنية.

### 1.2.1 – الإحالة المبنية على نموذج تحرك الذات.

يرتكز هذا النموذج الإحالى على الذات باعتبارها مركزاً إحالياً رئيسياً، ونقطة مرجعية في بنائهما، لذلك نجد أن النماذج المعرفية التي تختص بهذا نوع من الإحالة تُوقع الذات باعتبارها تؤشر على "الآن" بالنظر إلى الأزمنة الأخرى المتعلقة بالماضي، الحاضر والمستقبل، من حيث ارتباطهم جمیعاً بالحیز أو المكان. وهذا ما يجعل توقع المستقبل يكون أمام الذات، لأنه مبني على أساس وضع التنبؤات الزمنية المفترضة وغير المحققة، أما الحاضر فيتم التأثير عليه كونه نقطة

التقاء بين الذات واللحظة الزمنية بناءً على مبدأ المشاركة التي تجمع بينها. أما الماضي فإنه يتموقع خلف الذات، لأنه يبني أساساً على أحداث سبق وقوعها، وينظر إليها كونها عبارة عن تحققات مُخزنة يتم تذكرها من منطلق فرز العديد من الأحداث المؤطرة زمنياً ضمن سياق سبق معايشته. وهذا ما يفسر كوننا عادة ما نفكر ونتحدث عن هذه المفاهيم الزمنية مثل الحاضر والمستقبل والماضي من حيث علاقة الذات بالواقع والأمكانة المادية المؤطرة داخلها، إذ نعمل على تحديد الإحالة بناء على رؤية الذات المتعلقة نحو الأمام تعيش اللحظة وتنتظر إلى ما سيقع مستقبلاً بكثير من الافتراض، في حين تكون نظرتها إلى الماضي نظرة تذكرية مخزنة تحت وسيط الحدث. وهو الأمر الذي توضحه الأمثلة التالية:

#### (8) – الحاضر

أـ من وجهة نظري الآنية، يبدو لي وضع المرأة أحسن.

#### (9) – المستقبل

أـ أعربت له عن مستقبل مشرق يتضرر وضعية المرأة.

بـ تنبّأت لهن بمستقبل زاهر.

#### (10) – الماضي

أـ يكمن ماضي المرأة المؤلم وراءها.

تعدّ الذات من المعايير الأساسية التي تستند عليها في بناء الإحالة الزمنية، فإذا أردنا أن نتعرف على الماضي أو المستقبل أو الماضي، وجب أن نطرح السؤال: أين تتموضع هذه الأزمنة بالنظر إلى الذات؟ وكيف لها أن تلتقي عند نقطة مركبة واحدة؟ فندرك أن البنى (8-9-10) تحيل على أزمنة مختلفة.

يُفسّر الأمر من حيث أن الذات تجعلنا نعي أننا أمام الحاضر في (8) إذا تم الجمع بين الذات واللحظة "الآن"، وبين الحدث على نقطة واحدة، وهي نقطة مرجعية إحالية أنسنت، بالتأكيد، الحاضر، أما في (9) فإننا نقرأ في المستقبل الكثير

من الفرضيات والتنبؤات التي لن يصح تصديقها أو وقوعها إلا عندما تلتقي عند نقطة مرجعية مشتركة، وهو الأمر الذي يقودنا إلى افتراض وجودها أمام الذات، لأن نقطة الالتقاء المفترضة لم تتحقق بعد بين الذات والحدث والآن (الحاضر)، في حين نجد أن الماضي في (10) يبدو واضحاً كون الذات تعبر عن حدث الألم كونه يتموقع وراءها، للكشف عن ذلك وجب أن تربط الذات اتصالها بالماضي لكي تُقرَّ بذلك؛ أي وجب أن تعود بالذاكرة إلى الوراء لكي تجعل من حدث الألم ماضياً يتموقع وراءها.

تستند كل هذه الأزمنة المختلفة على الذات باعتبارها تؤسس للعلاقة الجامعة بينها من خلال التأثير على مسوغات تحديدها، هذا التحديد الذي يُقيد الإحالة و يجعلها تشكل حلقة اتصالية تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، بالنظر أيضاً إلى أن الذات تتموضع على خط زمني تسلسلي تأخذ مكاناً ضمنه، وبالتالي إمكانية رصدها واعتبارها (الذات)، ثابتة والزمن يتحرك نحوها تم يمضي خلفها.

### 2.2.1 – الإحالة المبنية على نموذج تحرك الزمن.

إذا كانت الإحالة الأولى مبنية تحديداً على الذات وتعتبرها مركزاً في بنائها نقطة مرجعية تستند عليها في تحديد طبيعة الزمن المشار إليه، فإن النموذج المعرفي الثاني الذي تبني من خلاله الإحالة يركز كل اهتمامه على نقطة إ حالية / مرجعية أخرى هي الزمن، ولتحديد التمايز بينها وجب أن نشير في البداية أن الأمر يتعلق، تحديداً، بخطوات إجرائية تفصل الإحالة الأولى عن الثانية من حيث الاعتماد على وسيط معرفي متمثل في الحركة. فإذا كانت الإحالة الأولى تنظر إلى الذات بأنها كيان ثابت متميز بالاستقرار، فإن الإحالة الثانية تنظر إلى الأمر من زاوية مختلفة، إذ يتم تحديدها من منطلق أن الزمن ثابت والذات تتحرك عبه. هو الأمر الذي نلمسه من خلال البنى التالية:

## (11). الحاضر

- احتفلت اليوم بعيد ميلادي.

## (12). المستقبل

- تقترب السنة من نهايتها.

## (13). الماضي

- دامت الحرب على غزة واحداً وعشرين يوماً.

إذا تأملنا هذه البنى، وحاولنا أن نقارنها بالبنى الواردة في (8-9)، سنجد تبايناً دلائياً واضحاً، مما يعكس طبيعة التمايز الذي نرصد من خلاله الاختلاف ، فإذا كانت البنية الواردة في (8) تُقرأ بناءً على الاتصال الحالـلـ بين الذات واللحظة والحدث في التعبير عن وضعية المرأة ، فإن (11) تعبـرـ عن ذلك بطريقة مختلفة ترصد الذات في وضع يجعل من حدث الاحتفال بعيد الميلاد موعداً زمنياً ثابتاً جاء من المستقبل فاختـرـقـ الذـاتـ التي احتـفـلتـ بهـ تمـ سـيـمـضـيـ ليتحققـ بالـماـضـيـ،ـ ماـ يـؤـشـرـ عـلـىـ أـنـ الإـحـالـةـ مـبـنيـةـ عـلـىـ نقطـةـ زـمـنـيـةـ مـحدـدـةـ هيـ الحـاضـرـ.ـ أماـ فيـ (12)ـ فـنـجـدـ الـأـمـرـ نـفـسـهـ لـكـنـ بـدوـاعـ مـخـتـلـفـةـ،ـ فـحـدـثـ نـهاـيـةـ السـنـةـ يـصادـفـ موـعـداـ زـمـنـيـاـ مـحدـداـ لـاـ نـخـتـلـفـ حـوـلـهـ يـتـسـمـ بـالـاسـتـقـرـارـ وـالـثـبـاتـ عـلـىـ الرـغـمـ أـنـ يـتـمـوـقـعـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ الذـاتـ فـيـ الـأـمـامـ،ـ إـلـاـ أـنـ يـتـماـيزـ عـنـ (9)ـ كـوـنـهـ مـحدـدـ وـغـيـرـ خـاصـعـ لـقـانـونـ التـبـؤـ أوـ الـافـتـراضـ،ـ لـأـنـ نـهاـيـةـ السـنـةـ تـصـادـفـ تـارـيـخـيـاـ موـعـداـ مـحدـداـ يـتـمـثـلـ فـيـ 31ـ دـجـنـبـ.ـ أماـ فيـ (13)ـ الـأـكـيدـ أـنـاـ نـجـدـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـعـطـيـاتـ الـتـيـ تـزـكـيـ أـنـ حدـثـ الحـربـ عـلـىـ غـزـةـ دـامـ 21ـ يـوـمـاـ،ـ وـهـيـ مـدـةـ زـمـنـيـةـ مـحدـدـةـ تـارـيـخـيـاـ،ـ هـذـاـ التـحـدـيدـ هـوـ الـذـيـ جـعـلـنـاـ نـقـرأـ الـماـضـيـ باـعـتـارـهـ لـحـظـةـ زـمـنـيـةـ تـتـمـيـزـ بـالـثـبـاتـ وـالـاسـتـقـرـارـ،ـ بـخـلـافـ الـبـنـيـةـ (10)ـ الـتـيـ لـاـ نـعـرـفـ مـنـ خـلـالـهـ الـمـدـةـ الـتـيـ اـسـتـغـرـقـهـاـ

الألم<sup>(18)</sup>. تحيلنا هذه المؤشرات إلى استنتاج مفاده أن اللغة العربية تركز كثيراً على هاتين الطريقتين في بناء نسقها الإحالي استعارياً، إذ غالباً ما نتحدث عن الزمن من منطلق هذه الثنائية التي تجمع بين تحرك الذات أو تحرك الزمن، ويرصد هذا التمايز طبيعة المعلومات الزمنية التي يمكن أن نكشف عنها، بل إن هذا التقابل يتيح لنا إمكانية البحث عن طريقة ندمج فيها هذه المعطيات خصوصاً أنها يرتكزان إحالتهما على نقطة واحدة ومحددة متمثلة في الذات، هذا الدمج الذي يتيح للغة العربية إمكانات زمنية متنوعة و مختلفة تتواهم مع الغنى الزمني الذي تعرفه، ويرد بشكل مباشر على المشككين في غناها زمنياً.

## 2 - تصنيف النماذج المعرفية.

نخصص هذا الجزء من البحث، أساساً، لدراسة النظريات التي تم اقتراحها لمعالجة مشكل تصنيف النماذج المعرفية المرتبطة بالزمن في اللغة العربية تحديداً، إذ يبني مشروع هذه النظريات في تحليل النظم اللغوية والكشف عن العمليات المعرفية اللاحزة لإنتاج وفهم التعبير الزمنية. لذلك يظل الغرض الأساس من هذه الدراسة هو محاولة الإجابة عن تساؤل يتعلق بالكيفية التي

(18) أورد "لايكوف" (93)، (النظرية المعاصرة للاستعارة) مجموعة من الحالات الخاصة التي أثبت فيها نوعين من الاقضاء:

- ✓ اقتضاء يقول بأن الذات ثابتة والأزمنة كيانات تتحرك بالنظر إليها، فتوجه الأزمنة في اتجاه الحركة. فتولد عنها النتيجة التالية:
  - (إذا بعَ الزَّمْنَ الثَّانِيَ الزَّمْنَ الْأَوَّلَ كَانَ الزَّمْنَ الثَّانِيَ إِذَاً بِمَثَابَةِ الْمُسْتَقْبَلِ بِالنَّسْبَةِ لِلْزَّمْنِ الْأَوَّلِ).
  - والزمن الذي يخترقه الملاحظ هو الزمن الحاضر).
  - سيأتي الوقت الذي ستعرف فيه الحقيقة.
- ✓ واقتضاء يقول بأن الأزمنة موقع ثابتة والذات تتحرك في علاقتها بالزمن، الشيء الذي تولد عنه النتيجة التالية:
  - (لِلْزَّمْنِ امْتَدَادٌ يُمْكِنُ قِيَاسَهُ، بِحِيثُ يُمْكِنُ تَصْوِيرُ الزَّمْنِ كَيَانًا مُمْتَدًّا شَائِهً فِي ذَلِكَ شَأنَ الْمَكَانِ الفضائي).
  - مكت في الغربة لمدة طويلة.

تمكنا من تصنيف البنى الزمنية داخل اللغة العربية، والحدود المعرفية التي تساهم في ذلك.

إن اللغة العربية كبقية لغات العالم، تملك نسقاً زمنياً خاصاً بها، وتُكيف ببنها وفق المساحة الإدراكية التي توفرها لمستعملتها، من منطلق أن الزمن لا يعيش منعزلاً عن باقي النماذج المعرفية الأخرى التي تؤثر الفضاء والمكان والحيز ... داخلها، وإنما يدخل معها في علاقات متشابكة مما يجعله ذا قابلية لكي يُوزع ويُصنف وفق نوع وطبيعة التشابك، الشيء الذي يدفعنا نحو مسيرة افتراض وجود نماذج معرفية للزمن في العربية: نموذج تحرك الذات، ونموذج تحرك الزمن<sup>(19)</sup> المؤسسان على تلك الحالات التي تمدنا بها دراسة الأبعاد والإحالة، مع إمكانية تقديم نموذج معرفي ثالث محدد في نموذج التسلسل الزمني الذي قدم في "إيفانز" (2006).

توضيحاً للأمر سنسوق بعض العبارات التي غالباً ما يستخدمها الناس بشكل مستمر: (يمرّ الوقت)، (يتدفق الوقت) ... ونظراً إلى هذه السيرورة الشائعة في تصنيف الزمن من حيث الانتقال من الماضي عبر الحاضر وصولاً إلى المستقبل، ندرك أنها ليست الطريقة النمطية الوحيدة التي يتحرك من خلالها الزمن، إذ إن كل شيء يتحرك في العالم وفق سرعة واتجاه محددين، ومع ذلك يمكن أن نتصور وجود خلفية معينة تتيح لنا ملاحظة التغيرات المكانية الناجمة عن حركة الجسم (الذات)، اعتباراً أن هذه الناحية المثالية تتأسس على وجود خلفية ثابتة نستند عليها في تحديد السرعة والاتجاه، لكن يجب أن نشير إلى إمكانية وجود تعابير تمنع شرعية الحدث وفق سرعة مختلفة، كما هو الحال في البنى التالية:

(19) هذان النموذجان قد تم تناولها من طرف الكثير من الباحثين "سارث" (Smart) (49)، "فيلمور" (Fillmore) (71)، "كلارك" (Clark) (73)، "لايكوف" (Lakoff) (93).

(14) - نحو اللاحق بالزمن.

إذ نتصور أنفسنا كما ولو أثنا في سابق مع الزمن لإنهاء واجباتنا، أو نتصور ذواتنا في صراع مع الزمن تُسخر كل إمكاناتنا وطاقتنا من أجل التغلب عليه. هي أشياء أو معطيات تمنحنا إمكانية النظر في كل الظروف التي تساهم في بناء نسق زمني محدد مبني على أساس إ حالية ثابتة ومستقرة.

فقد لاحظ الكثير من الباحثين أن النسق الزمني يمكن أن يؤسس، من حيث الاستعمال، على نمذجين تصوريين: نموذج تحرك الذات، ونموذج تحرك الزمن (لايكوف 93)، إذ الزمن يتحرك من منطلق علاقته بالذات التي تُعبر عن نقطة مرئية في الكشف عن الحركة والإحالات<sup>(20)</sup>. أما النموذج الثاني يؤسس تصوره على مرور الزمن من منطلق مقياس الحركة التي تحدد إمكانية التدقيق في الإحالات زمنياً، اعتباراً أن التمايز بين النمذجين يمكن أن يستخلص من خلال لُبس الحكم على البنية التالية:

(15) - تقدم الاجتماع ببومين.

إذا فكرنا أو تصورنا أن الوقت يتوجه نحونا أو أنه يتقدم نحو المستقبل، فإننا ندرك أن الجملة (15) يجب أن تُترجم بعناية فائقة ، المعنى الزمني الذي نشير إليه؛ أي أن الاجتماع سيجري في وقت سابق عن الوقت المحدد سلفاً، أو أنه سيجري في وقت ما مَبْنيٌ على موعد ثابت أصلاً، فالذي جعل الجملة (15) ملتبسة من حيث الإحالات البنية على تحرك الذات أو الزمن هو ارتباكها المحوري على فعل غير إشاري "تقدم"، على الرغم من إمكانية وروده إشارياً في بعض البنى من قبيل:

---

(20) لايكوف (93). النظرية المعاصرة للاستعارة ، ص ، 120

- (16) - أ - يقترب العام الجديد (تحرك الزمن: يقترب = المستقبل)  
 ب - السنة قد وَلَتْ (تحريك الزمن: الذات = الماضي)  
 ج - سأعمله (تحرك الذات: العمل = المستقبل)  
 د - قادم من العمل (تحرك الذات: قادم = الماضي)

الللاحظة الأساس التي تفرزها معطيات البنى الواردة في (16) هي أن نموذج تحرك الذات مختلف أو يتمايز عن نموذج تحرك الزمن. ويتمظهر ذلك من خلال محاولة تحديد الإحالة في (16 أ و ب) التي تشير أن الزمن يأتي من المستقبل (16أ) ويدخل في الماضي (16ب)، الشيء الذي يعكس أن النسق الزمني قد استند على تحرك الزمن في تحديد القرب والدخول في الماضي، أما في (16.ج و د) نجد أن التأويل مبنيًّا على تحرك الذات التي تدخل في المستقبل في (16ج)، وقادمة من الماضي (16د)، الأمر الذي يفسر أن الإحالة قد تم تحديدها بناءً على تمركز الذات، مما يعطينا عادة المعنى الذي نشير من خلاله إلى الزمن المرتكز على نقطة مرجعية واحدة (الذات)، هذا الوضع المتمايز هو الذي يقود نحو تشكيل رؤية تعتمد نسقاً تسلسليًّا يحترم خصوصية اللغة العربية ويحترم نسقها الزمني، فالتحول الإحالي ليس له أثر إلا من منطلق الرصد الدقيق لمسوغات تحرك الذات أو الزمن، وهو تحول بنوي يفسر منهجهية التأويل الواجب توفرها لتحقيق تطابق بين الآليات التركيبية والدلالية مع الإحالة الزمنية، والكشف أيضاً عن الماهيات التصورية الكامنة وراء الأحكام الصادرة لمقوله التخصيصات الدلالية ضمن لوائح معجمية محددة. وهو الافتراض الذي سنعمل على تطويره من منطلق الاعتماد على هذين النموذجين المعرفيين: نموذج تحرك الزمن ونموذج تحرك الذات.

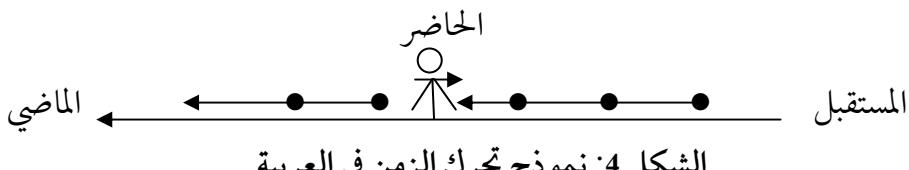
## 1.2 - نموذج تحرك الزمن.

يبدو أن نموذج تحرك الزمن وفق نظامنا وثقافياً يؤشر على مسألة تدفق الزمن من منطلق أن الأنظمة اللغوية ومعطيات ثقافتنا الشعبية يؤكdan أنه يتدفق صوب اتجاه محدد، ينتقل من الماضي ويمرّ عبر الحاضر ليحط رحاله في المستقبل.

هذه الوجهة هي التي تُعكس بشكل جلي على تعابيرنا ونظامنا اللغويّ، لكننا نتفاجأً عندما ندرك أن هذا النموذج هو طريقة للتعبير عن حالات من قبيل (16 أ) و(16 ب)، فالزمن لا يتم التعبير عنه وفق مسار يربط الصلة بين الماضي والمستقبل عبر الحاضر، بل إن الأمر يتم بصورة عكسيّة تماماً؛ أي ننتقل من المستقبل نحو الماضي عبر الحاضر، وبهذا نُسجل أول ملاحظة هي أن نموذج تحرك الزمن يتعارض مع الاعتقاد الشعبي الراسخ الذي نمتلكه جميعاً الذي يتمظهر في أن الوقت/ الزمن يتدفق نحونا من الماضي<sup>(21)</sup>.

يشمل نموذج تحرك الزمن دمج التصورات المعجمية التالية: الحاضر والمستقبل والماضي مع تلك التصورات التي تخيل على معنى المدة (الموزعة بين "الضغط الزمني" وإطالة المدة) ومصفوفة الزمن وزمن اللحظة ثم معنى الحدث. الشيء الذي يقود نحو طرح جوهريٍ يتمظهر في الكيفية التي تندمج فيها كل هذه التصورات أو المفاهيم المعجمية بعضها مع بعض؟ وكيف تتألف لتأسيس نموذج معرفي مبني على تحرك الزمن؟

من الاقتراحات الدالة على رصد تحرك الزمن، نرصد ما قدمه "ايفانز" (2006) الذي ينطلق من افتراض وجود بنيات محورية تعمل على دمج هذه التصورات أو المفاهيم من خلال خلق بنيات أخرى ثابتة تسمح لنا بوصف العلاقات الزمنية التي تؤسسها، وبناء على ذلك نتأمل الشكل التالي:



(21) Radden, Günter. (2003). *The Metaphor TIME AS SPACE across Languages.* P.232.

إذا كان التصور الاعتيادي للزمن الذي يُنظر إليه من زاوية التدفق السُّلْمِي يقدم النسق الزمني على خط اتجاهي ينطلق من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر، فإن هذه التصورات التقليدية لم تكن تقدم طرحاً عاماً يفسر التعامل الذي ينسجم مع النسق التسلسلي للزمن، الشيء الذي جعل التعامل معه يشكو بعض النقص من حيث التحليل العلمي، وخصوصاً على مستوى الربط بين هذه التصورات وتأويلها. الأمر الذي يتناقض مع المعطيات المقدمة في الشكل (4)، الذي يؤشر على أن الزمن يتحرك من المستقبل نحو الماضي مروراً بالحاضر (الذات)، اعتباراً أن هذا النموذج قائم على أساس مركبة الذات، الشيء الذي يعني أنها ترتبط بتجربة "الحاضر" مما يجعلها تُؤول كنقطة مرجعية لتحديد زمن "موقع" باقي المفاهيم الزمنية الأخرى. إضافة إلى إمكانية وجود نمط معابجة ثانٍ يتعلق بالدمج الضمني بين كل التصورات التي تختص بالحدث واللحظة ثم مصفوفة الزمن، الشيء الذي يثير مسألة موقع المستقبل أمام الذات مع وجود حركة زمانية موجهة نحوها قبل أن تمرّ لتموضع خلفها.

يؤشر لنا السهم الصغير الموضوع على وجه الإنسان والمعلق على الرأس في الشكل (4) اتجاه الحركة الزمنية في علاقتها بخط الانطلاق، اتجاه الحركة هنا يعادل اتجاه السهم المنطلق من المستقبل والتجه صوب الماضي، مما يعكس تلك العلاقة التصورية التي تنسجم مع متطلبات المصفوفة الزمنية التي تتشكل من زمن الأحداث واللحظات المؤشر عليها من خلال الدوائر السوداء الصغيرة، إذ تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الأنماط التي تنظمها لكونها تدخل ضمن سيرورة الحركة، بالإضافة إلى أن تفريع معنى المدة على "الضغط الزمني" و"إطالة المدة" يجعلهما يندمجان ضمن هذا النموذج، وتبعاً لذلك، فإن سرعة الحركة أو بطأها تكون نتيجة استشعار الذات "لضغط زمني" يُقرأ من زاوية تقعها خلف الذات؛ أي من خلال تفكيك المكونات التصورية المخزنة على مستوى الدماغ وتحويتها إلى أوليات (Primitive) ومبادئ تشكل حصيلة الذات في إدراكتها للنسق الزمني. فالوقت يمرّ نتيجة الصراع الداخلي الذي تستشعره الذات،

فالمعلمون والأساتذة يعيشون الضغط الزمني بصورة تختلف عن الصورة التي يعيشها بها أصحاب المحلات التجارية وأرباب العمل وأصحاب الأجور المنخفضة الذين يستغلون بالساعة، وتختلف النساء عن الرجال من هذه الناحية وسكان المدن الكبرى عن سكان القرى والأرياف<sup>(22)</sup>. الشيء الذي يؤدي إلى إمكانية تصور أن الوقت قد مرّ بطريقة سريعة وغير طبيعية.

وعلى العكس من ذلك، فإن الحركة البطيئة لمصفوفة الزمن (أو للحظات أو الأحداث الزمنية) تكون نتيجة ت موقع الذات في الحاضر، الأمر الذي يقود نحو تصور أن الوقت يمر ببطء، بل يكاد يكون ثابتاً. وبعبارة أخرى، فإن هذا الاستنتاج لا يمكن أن نرجئه إلى تصور مرجعي معين، بل ينبثق من خلال النتائج التي تمدنا بها مختلف التصورات المعجمية وأنماطها التي يتم دمجها داخل نموذج تحرك الزمن. وبناء عليه، فلا يمكن أن ننسى أن هذا التحديد الزمني يعتبر وسيلة لتصور التجارب الذاتية مع الزمن، لأنه منها يكن، فإننا لا يمكن أن نتصور أن الزمن يقوم بالتنقل حرفياً، ومع ذلك، فإن كلاً من الفلاسفة والعلماء قد اتخذوا في كثير من الأحيان هذا النموذج المعرفي (نموذج تحرك الزمن) باعتباره واقعاً مادياً لفهم الزمن. فنيوتن مثلاً تحدث عن الزمن المطلق الذي بناء من منطلق الاستنتاجات التي توصل إليها من مرجعية ثبات واستقرار الحركة المرتبطة بالزمن، الشيء الذي قاده إلى اعتبار الزمن المطلق أمراً بدھياً ومركزاً في نظريته حول الميكانيكا (إيفانز 2004).

نقدم الآن، إجمالاً، بعض الأنماط المعرفية التي تندرج ضمن هذا النموذج ومقتضياته التي تشمل كلاً من الأحداث واللحظات الرمزية المساهمة في بلورة سيرورة المضي أو مرور الزمن:

---

(22) كريستوف بوميان (2009)، نظام الزمان، ص، 473

- (17) - أ - حركة مصفوفة الزمن الماضية ← الوعي بمرور الوقت
- ب - سرعة الحركة واللحظات الماضية ← الضغط الزمني
- ج - بطء الحركة واللحظات الماضية ← الامتداد (المدة)
- د - استقرار حركة الأحداث الماضية ← تجربة المدة العادية
- ه - أحداث أمام الذات ← المستقبل
- م - أحداث مستقرة بمشاركة الذات ← الحاضر
- ق - أحداث خلف الذات ← الماضي
- ر - الحدث الذي يقترب من الذات ← الواقع الوشيك للحدث
- ز - وصول الحدث من الذات ← وقوع الحدث.

تبني هذه النماذج تحديداً على مسألة مرور الوقت أو بالتحديد نقول إنها تتحدد من منطلق تحرك الزمن، فقراءة الماضي أو الحاضر أو حتى المستقبل تخضع في تأويلها لمركزية الذات وتتوقعها ضمن المصفوفة الزمنية التي تعمل على دمج كل المفاهيم أو التصورات التي تم ذكرها (لحظة، الحدث، المدة...) لتأتي لنا إمكانية تحديدها من منطلق ما تقدمه اللغة العربية من أنماط لغوية نؤول من خلالها التراكيب وبذرتها والكشف عن خباياها. فإذا كانت جميع لغات العالم تتخذ نسقاً معرفياً خاصاً بها في التعبير عن نسقها الزمني، فاللغة العربية لا تشكل الاستثناء ولا تخرج القاعدة لأنها تدرك منذ زمن أن التصورات الزمنية من قبيل (لحظة والحدث والمدة....) تشكل نسقاً معرفياً مدركاً يتم التعبير عنه بقوالب زمنية وإحالية واضحة<sup>(23)</sup>.

(23) تبليغ المقاريات الموضحة لذلك بين النهاية القدامي وبين اللسانين المحدثين، إذ تم اعتبار الزمن بمثابة جزء لا يتجزأ من الفعل، بل يعد مسوغًا من مسوغات لبناته، ومن تم نشتق باقي العمليات التصورية الأخرى في التعبير عن اللحظات والأحداث.

يعمل نموذج تحرك الزمن على تفسير الطريقة التي تعجم بها اللغة العربية بعض التصورات الزمنية الأخرى التي ترتبط بعيد الميلاد، والتخرج، والأعياد الوطنية والدولية... إذ تتم معجمتها من منطلق أنها أحداث تتموقع أمام الذات (المستقبل)، بينما يتم إخضاع التصورات الأخرى إلى ما هو ثقافي (يقرب / يتدفق...)<sup>(24)</sup> لأنها لا تتعلق مباشرة بالتجارب الزمنية الأساسية، لذا فإن هذه العبارير يمكن أن تدمج مباشرة داخل نموذج تحرك الزمن كما هو واضح من خلال البنى التالية:

(18) - أ - أصبح عيد الميلاد وشيكًا.

ب - اقترب موعد التخرج.

يمكن أن نفسّر البنية الواردة في (18أ) بالنموذج المقدم في (17ر) لأنه مبني تحديداً على حدث "الاقتراب" الذي يجعل من عيد الميلاد وشيك الوصول، إلا أن هذا الوصول لا يمكن أن نتصور حدوثه بشكل عملي، بل الأمر مُعلق على إمكانية دمج الحدث داخل مصيوفة الزمن مستقبلياً الشيء الذي يجعلنا نفسّر البنية (18ب) بالنموذج المقدم في (17ر) أيضاً. فهذه التصورات يمكن أن تكون متكاملة إذ تم استقاها من نموذج تحرك الزمن.

يقوم تصورنا المعرفي للزمن، من حيث ارتکازه على نقطة إحالية، على أساس تحريك الزمن الذي يتواافق مع تلك الإحالة التي تعمل على دمج كل تلك المفاهيم السابقة ومحاولة تنظيمها وفق مسار زمني محكم، لذلك فنحن ملزمون أن نسوق الآن مجموعة من الخصائص التي تميز نموذج تحرك الزمن معرفياً:

(24) يتحدد البعد الثقافي للزمن في طبيعة التصورات التي نرفقها مع تلك المفاهيم التي تحيل على الزمن، فإذا كان موعد التخرج زمناً محدداً من قبل، فإننا نرصد ذñoه منا بأفعال ثقافية توسم بالقرب أو البعـد، فيتحول كل ما هو تصوري إلى نسق زمني محسـب.

- يتيح لنا النموذج (تحرك الزمن) فرصة تحريك الزمن وإيصاله بمواعع إ حالية ثابتة وساكنة من منطلق أن الإنسان هو الكائن الذي يؤسس لهذه الإحالات في ارتباطه بالزمن والأحداث التي وقعت أو التي ستقع، ويبدو أن هذه المركزية هي التي دفعت بهذا النموذج نحو اعتبار الذات (الإنسان) نفسه في مركز العناية والاهتمام في هذا العالم.

- يتيح لنا نموذج تحرك الزمن وضع تصورات من منطلق تجاربنا الخاصة بناءً على وسيط [الزمن المتغير]: ونقصد بذلك تلك التغيرات التي تقع في المستقبل وفي الحاضر وفي الماضي.

- يمنحك نموذج تحرك الزمن وجوداً مستقلاً عن الزمن في حد ذاته، لأن وحدات قياس الزمن أصبحت بالنسبة إلى بعض مواقع إشارية كما هو الحال في التعابير اليومية التي نوظفها من قبيل (في الأسبوع التالي)، (في وقت لاحق من هذا الأسبوع)...<sup>(25)</sup>

يمكن أن نعمجم لذلك بأفعال من قبيل: ( يأتي، يتبع، يطير، يمر، يحل .... )

- سيأتي الوقت المناسب للهجوم.

- مرّ وقت طويل على لقائنا الأول.

- يطير الوقت بسرعة فائقة.

قد تصل بنا هذه الخلاصات إلى اعتبار أن مصدر التحرك في هذا النموذج مرتبط أشد الارتباط بالعالم المادي على الرغم من كونها قد نوقشت مع قانون نيوتن للحركة، الذي نصّ على وجود خط مستقيم موحد تنتظم من خلاله الحركة ويتم التغيير بناءً على حالة القوة، لكن ما يبدو عجيباً أنه لا توجد أي قوة

(25) Evans, V. (2004). *The Structure of Time*: Language, Meaning and Temporal Cognition. Amsterdam, p 751.

يمكنها أن تغير من التواليات الزمنية، لأنها تمنحنا سيرورة ندرك من خلالها أننا نقف على مسار انتقالي لا يتغير إلى الأبد، وتبقى الذات هي المساهم الوحيد في تشكيل هذا السيناريو باحتلالها موقعاً ضمن الخط الزمني واكتفائها بمراقبة مروره دون أن تتمكن من تغيير مساره، لذلك فإن هذا النموذج يفسح المجال لمفهوم الزمن لكي يتطور بناء على سيرورة الأحداث.

## 2.2 - نموذج تحرك الذات.

تقوم الذات، في هذا النموذج، بربط الصلة بين الماضي والحاضر، وصولاً فيما بعد إلى المستقبل، الشيء الذي يؤكّد أن الزمان يأتي كمجال مرجعي ثابت مبني على إحالة مستقرة، ويصادف ورود نموذج تحرك الذات العبارات التالية:

(19) - أ - نحن نقترب من العصر الذهبي.

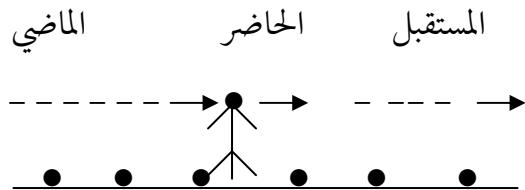
ب - لقد تركنا أسوأ الأيام وراءنا.

يُفسّر نموذج تحرك الذات المُقدم في البنية (19) موقع الذات ضمن خارطة زمنية تتسم بتحديد النسق الزمني عام دون التركيز على نقطة مرجعية ثابتة. ف(19أ) تؤول على أن الذات تتبنّى باقتراب العصر الذهبي (التطور) دون أن تعطينا نقطة مرجعية ثابتة لهذا التطور، أما في (19ب) فالامر مماثل لأن الحديث عن الأسوأ قد تم موقعه وراء الذات؛ أي في الماضي، ولكن نحن لا نعلم إن كان هذا الأسوأ قد دام فترة أو لحظة أو مدة.

من هذا المنطلق وجب أن نشير إلى معنى مهم لكي نفهم ونرصد حدود التمايز بين نموذج تحرك الذات ونموذج تحرك الزمن، فال الأول يشتغل على تحديد زمني يلخص في "مجال" ثابت، أما الثاني فإنه يؤول على أساس نقطة مرجعية ثابتة ومحددة. بعبارة أخرى، فإن نموذج تحرك الذات يعطي تفسيراً زمنياً مبنياً على مجال زمني ثابت (الماضي، الحاضر، المستقبل). أما نموذج تحرك الزمن فإنه

يمنحنا تأويلاً زمنياً مؤسساً على نقطة إحالية ومرجعية ثابتة (عيد الميلاد، عيد الاستقلال، عيد الأم ...)

إن هذه الاعتبارات التي تفسر كيفية اشتغال نموذج تحرك الذات تجعلنا أمام سيرورة زمنية تخضع، بالضرورة، لنظرة زمنية مختلفة عن نموذج تحرك الزمن، بمعنى أدق، فإن موقعة الحاضر والماضي والمستقبل بالنظر إلى الذات ستكون مخالفة لما كان عليه الحال في النموذج الأول، ولتوسيع ذلك ننظر في الشكل التالي:



شكل (5): نموذج تحرك الذات في العربية.

يمنحنا الشكل (5) فرصة كبيرة للحديث عن الحاضر ما دام أنه كان شبه مغيب في تأويل النموذج الأول، أما الماضي فإنه يتموقع خلف الذات (أي أنه يؤشر على أحداث تاريخية مؤسسة على الذاكرة الزمنية)، أما المستقبل فإنه يتموضع أمام الذات (أي أنه يؤشر على أحداث متباينة بحدوثها مبنية على الحدس الزمني) الشيء الذي يعطي الانطباع أن الذات هي التي تتحرك في هذا النموذج وليس الزمن، إذ تتخذ مساراً زمنياً معيناً تتحرك من خلاله، تعيش الحاضر وتقيس من خلاله الماضي وتتهيأ أن تعيش المستقبل.

يمنحنا هذا التحرك فرصة التأثير إلى أن الذات تعدّ نقطة مرجعية أساسية في بناء الإحالة الزمنية التي تتأرجح عبر حركة مؤشر عليها باتجاه الأسماء، أما الخط الأسود فإنه يؤشر على الخط الزمني الذي تقف عليه الذات، أما الأحداث فمؤشر عليها بالدوائر السوداء التي تتموضع على الخط الزمني وتشكل أماكن تحرك الذات.

إن كل التصورات المعجمية التي سبق الحديث عنها تُعدّ في هذا النموذج، متكاملة، وهي شبيهة بتلك التي تم اقتراحتها في نموذج تحرك الزمن، إلا أن حدود التمايز بينها تتجسد في أن نموذج تحرك الزمن يعرض التفاصيل التي تتعلق بحركة التصورات الزمنية التي تخضع لسمة أساسية هي "الدمج"؛ بمعنى آخر أن هذا النموذج يتعلق بأنماط المحتوى غير الحركي (أي فراغ العلاقات) التي يتم دمجها في نموذج تحرك الذات، ولكي نوضح هذا الأمر جيداً ننظر في سياق الأمثلة التالية:

.(20) - أ- اقترب موعد تسلمي العمل.

ب- أوشكت على توديع سنوات الفقر.

إن المتأمل في البنية (20) سيجد أن تأويلها الزمني مختلف من منطلق أن موعد الحصول على العمل في (20أ) قد تم إحالته على نقطة مرجعية ثابتة تتجسد في تاريخ محدد لذلك. أما في (20ب) فإن الأمر غير محسوم كون توقيع انتهاء سنوات الفقر لم يُحدّد بموعد ثابت، بل تم الارتكاز في ذلك على مؤشر الحصول على عمل. لذلك قد نستخلص أن البنية (20أ) تؤشر على نموذج تحرك الزمن الذي يدمج تلقائياً في نموذج تحرك الذات لكونه يجسد المجال الزمني أكثر من تجسده للنقطة الزمنية<sup>(26)</sup>.

إحدى الوسائل التقليدية التي تقود نحو بلورة معنى المصفوفة قد يتعلّق بالخط المستقيم الذي تَعبُرُ عبره الأحداث في ارتباطها بالذات، وهو الأمر الذي يوفر جزئياً المنظر الزمني الذي يُعد متكاملاً عقب إدماج معنى الحدث ومعنى اللحظة ضمنه، على الرغم أن كليهما موسوم بالانفصال عن الآخر، إذن فهو تصور ينظر إلى الحدث واللحظة باعتبارهما موقع مجزأة تتموضع كلّها على خط زمني واحد، إلا أن دمجها لا يتم إلا في إطار الحديث عن المدة أو الفترة؛ أي

(26) تتحدد النقطة الزمنية من خلال المؤشرات التالية (الساعة، اليوم، السنة، الأسبوع....). يتتحد المجال الزمني من خلال المؤشرات مُعتبر عنها ب (المدة، الفترة، السنوات، الأسابيع.....).

عندما نبدأ في الحديث عن "الطول" الذي يتسبب في خلق مسافة بين الأحداث المتصورة كطول المدة، اللحظة والفترة... الشيء الذي يعطي إمكانية قياس الخط الزمني بناءً على مؤشرات اللحظة أو الحدث في ارتباطهما، أكيد، بالطول أو القصر. وهو الأمر الذي نوضحه من خلال البنية التالية:

(21) – اقترب الفريق من إجراء ثلاث مقابلات في غضون عشرة أيام.

بتأملنا لهذه البنية، قد نعمل على إعطاء تأويل زمني يجعلنا نتصور المقابلات الثلاثة بمثابة أماكن احتوت أوعية لمدة عشرة أيام، أو بمعنى أدق، نتصور أن هذه المقابلات عبارة عن أحداث مجزأة أو مقسمة على مدة زمنية لا تتجاوز عشرة أيام.

وفقاً لهذه المعطيات، وبناءً على مبدأ الدمج الزمني والطريقة التي تم اتباعها في ذلك قد نحصل على العديد من الاستنتاجات التي يتم استقاقها مباشرة من نموذج تحرك الذات نفسه، وهي الاستنتاجات التي تعرض لها من خلال الأمكانة التالية:

- (22) –
  - أ – حركة الذات عبر الخط الزمني ← الوعي بمرور الزمن.
  - ب – الواقع والأماكن ← الأحداث (أو اللحظات الزمنية المرتبطة بالأحداث).
  - ج – المسافة بين الأحداث ← حجم المدة.
  - د – الخط الزمني أمام الذات ← المستقبل.
  - ه – الخط الزمني خلف الذات ← الماضي.
  - م – الخط من حيث القرب ← الحاضر
  - ر – اقتراب الذات من المكان ← الوقوع الوشيك للحدث.
  - ق – وصول الذات للمكان ← وقوع الحدث.
  - س – حركة الذات بعد المكان ← وقوع حدث ماضي / سابق.

إن الحديث عن كل هذه التصورات يجعلها تشتعل كوسائل نعمل من خلالها على تحديد اللحظات والأحداث المتعلقة بتجاربنا، فيوفر هذا التعامل مرجعًا زمنيًّا غنيًّا للغة العربية يتجاوز حدود الأزمنة التقليدية المعروفة، بل يتجاوزها ويعطي الدليل أنها تملك مؤشرات زمنية غنية تصاهي من خلالها اللغات الأخرى، إن لم نقل أنها تتفوق عليها في بعض الأحيان. وهي الأمور التي نقف عندها من خلال الأمثلة التالية:

. (23) - أ - نحن نقترب من الفترة المفضلة من الحياة.

ب - إنهم قد تجاوزوا المهلة المخصصة لهم.

ج - يتعين علينا أن ننتظر إجابة في الأسابيع المقبلة.

د - قد تتمدد المجتمعات على فترات تصل إلى أكثر من شهر.

إذا كانت البنى الواردة في (23) تشير إلى أنماط مختلفة من الزمن، فإن تحديدها المعرفي يرصد من خلال رسم خط زمني مؤسس على "المجال"؛ بمعنى أن هناك دوافع معرفية تجعلنا نُقر بالخلاصات التالية:

- يتيح لنا نموذج تحرك الذات النظر في اتساق الزمن مع تلك المسلمات التي ترتبط بعملية تدفق الوقت (23أ). اعتبارًا أن الذات في هذا النموذج تعد جزءًا من هذا العالم الذي يتحرك في اتجاه اليمين (من الماضي نحو المستقبل).

- يسمح لنا نموذج تحرك الذات وضع تصورات حول الزمن بناءً على عمليات التخطيط الزمني المؤسسة على تجربتنا الحس-حركية مع العالم تصوريًّا (23ب).

- يسمح لنا نموذج تحرك الذات أيضًا ربط التصورات التي تتصل بالزمن بتصورات أخرى مهمة، ولا سيما تلك التصورات التي ترتبط بهدف توجيه الأنشطة (23ج).

- يستند نموذج تحرك الذات على التحركات التقليدية عندما يقرر الناس مثلاً الانتقال من مكان ما فإنهم عادة ما يفعلون ذلك بناءً عن مقصدية وهدف محددين، بمعنى آخر، لماذا نختار التحرك في زمن دون باقي الأزمنة الأخرى، لذلك فإن البني الواردة في (24) تعبّر كلها عن هدف موجه موجود في المستقبل، وقد يكون التحرك نحوه مبنياً على ظروف محددة ترصد من خلال التنبؤ بوقوع الحدث في المستقبل سواء أتعلق الأمر باقتراب الفترة المفضلة من الحياة (الشباب)، أو المهلة المخصصة للانتظار، أو حتى انتظار الجواب المتوقع في غضون الأسابيع القادمة... من الأرجح أن هذا النموذج المعرفي يمعجم بأفعال من قبيل: (اقرب ، أوشك ، يتبعن ، تمت ، وصل .....)

- اقترب عيد ميلادك.

- وصل الوقت المحدد لسحب القرعة .

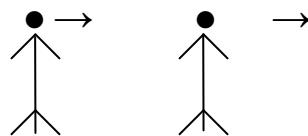
- مكت في باريس عشرين سنة.

### 3.2 - نموذج التسلسل الزمني .

يكمل هذا النموذج تلك التصورات المعجمية المرتبطة بالزمن التي غالباً ما نتصورها كوحدات زمنية منفصلة ونعبر عنها باللحظة أو الحدث، ذلك أن الهدف من وراء إدراج هذا النموذج هو البحث في تلك التحالفات الزمنية التي تُبنى على الأحداث واللحظات في ارتباطها بالمصفوفة الزمنية التي تم التعبير عنها في شكل (4) بالخط المستقيم الذي تقع عليه الأحداث، علاوة على ذلك، فإن هذا النموذج لا يستلزم تكامل الحاضر والماضي والمستقبل، بل إنها تؤسس لإطار مرجعي مبني على التعاقب التعاقبي للذات مع الأحداث واللحظات.

نحن نتصور عادة أن الزمن يتخذ شكل وحدات متسلسلة من الأيام والسنوات، هذا التسلسل الذي يقابله استعاراتياً التسلسل المكاني، الشيء الذي ينعكس منطقياً على طرق التفكير في النسق الزمني المُعبر عنها من زاوية نتصور من خلاها وجود ذات تمهى بين التسلسل الزمني والتسلسل المكاني<sup>(27)</sup>. لكن إذا نظرنا إلى الأمر من هذه الزاوية، فإن السؤال الذي يطرح نفسه يتمظهر في الكيفية التي يستلزم فيها حدث زمني حدثاً زمنياً آخر داخل نسق زمني عام ومتكملاً؟

إن السمة المميزة لهذا النموذج تتمظهر في أن كل الأحداث الزمنية تبدو مختلفة، إذ يتم تصوّرها من منطلق مرور الحركة التي تؤشر على مرور مدة أو لحظة أو فترة زمنية معينة، لذا فإن التسلسل الزمني يستلزم الأحداث أو اللحظات التي يُعبر عنها وفق نسق آخر مرتبط بالتسلسل المكاني، لذلك فإنها تكون أحادية الاتجاه (اي凡ز 2004)<sup>(28)</sup> فالحركة والحدث الزمانيان هما الجانبان الوحيدان اللذان تستطيع من خلاهما الكائنات أن تبني سيرورة موحدة تعاقيباً، وهو الأمر الذي ندركه من خلال الشكل التالي:



شكل (6): تعاقب حدث الحركة مع حدث زمن.

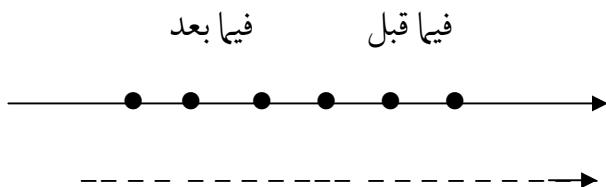
فأهم ملاحظة يمكن أن نسجلها على هذا النموذج أنه يغيب الحديث عن الذات لأن تموقعها سواء في الحاضر أو الماضي أو المستقبل أمر لا يهمنا، بل إن الجانب الأساسي لهذا النموذج هو التطرق إلى الوضع النسبي الذي يتم التأثير

(27) G. Radden (2003), *The Metaphor TIME AS SPACE* across Languages., p.230.

(28) انظر أيضاً عمل اي凡ز، (2004)

عليه باللحظة أو الحدث في وقت محدد، إلى جانب أن التسلسل الزمني يتحدد بناءً على التراتبية المتعاقبة للنموذج بأكمله، ولا يرتبط بأي تصور من التصورات المعجمية التي سبق التطرق لها في النماذجين السابقين.

يحدد هذان العاملان سمات التهابيز بين نموذج التسلسل الزمني والنموذجين السابقين؛ أي أن تغيب الذات إلى جانب عدم التركيز على التصورات المعجمية هو أمر أفرز حدوداً معرفية فاصلة بينهم، بل جعل كل نموذج يشتغل على مجال زمني خاص به وفق ما تقدمه معطياته التحليلية زمنياً، فإذا كان نموذجاً تحرّك الذات وتحرّك الزمن يرتكزان في بناء تحليلهما على موقعة الذات أو الزمن بناء على وسيط [± ثابت]، فإن نموذج التسلسل الزمني يبني ذلك وفق [± التعاقب] الحدث واللحظة في علاقتهما الجدلية مع الحركة والزمن، الأمر الذي نحدده من خلال الشكل التالي:



### شكل (7): نموذج التسلسل الزمني

يؤشر هذا الشكل على نموذج التسلسل الزمني الذي تمثل الدوائر فيه أنواعاً مختلفة من الأحداث الزمنية، مع العلم أن هذه الأحداث غير مسؤولة عن تحديد الحدث أو اللحظة ضمنها، بل يتم التعامل معها كأنها أحداث مطلقة. وعلى نحو آخر، تتصرف هذه الأحداث في شكل صورة مماثلة لأيام الأسبوع أو لأشهر السنة أو شبيهة بالإجازات الموسمية، مثل جدول العطل السنوية، بينما من يجب أن نعمل على الفصل بين هذه الأحداث المرتبطة بالحركة عن تلك التي

يتم معالجتها ضمن حركة الأحداث المرتبطة بتمرز الذات، فكما نعلم أن الذات ضمن هذا النموذج غير مهمة بالنظر إلى زاوية الزمنية التي نحلل من خلالها النموذج.

ولاستكمال الحديث عن هذا الأمر وجب التطرق إلى الأحداث التي يتم ترتيبها بالتعاون (شكل 5)، إذ يفرض هذا التعاون على الأحداث الزمنية المختلفة أن تتناسق ضمن توجه مُشار إليه بالسهم في شكل (5) وشكل (6)، لذلك، فإن طريقة تصور هذه الأحداث، خصوصاً فيما يتعلق بتسلسلها، يتسبب في تقييم العلاقة الزمنية بعد/ قبل في ارتباطها بالأحداث.

يقودنا الدليل على هذا القول إلى الحديث عن الأفعال التي تسبق أو تتبع حروف الجر قبل وبعد المترافقه مع هذا النموذج، إلا أن هذه التصورات المعجمية لا تُستخدم باعتبارها تصورات فردية، بل يتم النظر إليها في صورتها التكاملية مع باقي المكونات الأخرى، في حين أن أفعال الحركة مثل: يقترب، يصل... إلخ، تخضع في مقاربتها للطرق التقليدية التي ترتبط بمعنى الحدث كما هو مبين في الفصل الأول. لتوسيع هذه المعطيات ننظر في البني التالية:

(24) - أ - يقترب / يصل / يجيء / يدنو وقت المرأة الصغيرة [= العمل].

ب - وصل زمن الرجل الصغير [= العمل].

سنجد إذا تأملنا هذه البني أن الإطار الزمني الذي يقيّد عملية تأويتها مختلف عن سابقه، بالنظر إلى أن النسق الزمني الذي تُبني عليه هذه المعطيات يفرض وضع تلك التصورات المعجمية (يقرب، يصل...) على خط التسلسل الزمني، فهي تصورات تحدد علاقة بعد/ قبل بناءً على السبق أو المتابعة على الرغم من أنها ليست طرق تقليدية نتمكن من خلالها من رصد حدود التمايز بين مختلف التصورات المعجمية كما هو مبين في (25)، إذ تشير عالمة الاستفهام إلى غرابة الجمل دلائلاً:

(25) - أ - ؟ زمن شباب المرأة لاحق.

ب - ؟ زمن شباب المرأة سابق.

ج - ؟ يأقي زمن شباب المرأة فيما بعد / قبل.

تُستمد غرابة هذه البنى دلاليًّا من القراءة الشاذة التي نفهمها، والمرتبطة في كل الجمل بالوصول أو بالولادة الوشيكة لمرحلة الشباب التي نعلم من خلالها وصول مرحلة العمل، وهي خصوصيات تتمظهر من خلال الأفعال التي تدل على السبق / التتابع، أو حروف الجر قبل وبعد التي تدخل في توافق مع معنى الحدث عندما يتم دمج الكل داخل نموذج التسلسل الزمني، إذا سلمنا بالقول إن هذا النموذج يربط حدثاً واحداً باخر، فإن ذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال فرض مخطط يرتكز على مبدأ التعاون الذي ينص على ضرورة ربط كل الأحداث داخل هذا النموذج بصورة متكاملة، الشيء الذي يجعل من البنى الواردة في (25) بنى شاذة دلاليًّا بالنظر إلى عدم إمكانية الفصل بين الأحداث التي يتم تأويتها في كليتها.

بل العجيب في هذا النموذج أيضًا، أن حروف الجر المتعلقة بـ قبل / بعد عندما تستخدم مع علاقة أمام / خلف تعطي نتيجة مفادها عدم التوافق والفشل في بناء نسق دلالي سليم. ولتوسيع ذلك أيضا نتأمل الأمثلة التالية:

(26) أ - ؟ السبت خلف الجمعة (تؤول على مقارنة السبت بعد الجمعة).

ب - ؟ الجمعة أمام السبت (تؤول على مقارنة الجمعة قبل السبت).

تحيل علامة الاستفهام التي تسبق هذه البنى على غرابتها دلاليًّا، فإذا كانت حروف الجر تُعبر في أصل معناها عن علاقات فضائية<sup>(29)</sup>، فإنها ترتبط

---

(29) جحفة (2000)، مدخل للدلالة الحديثة، ص (118).

بعناصر مكانية ثابتة تتعلق ب أمام / خلف، لذلك فهي عناصر تعمل على خرق ذلك التوافق مع العناصر التي تستلزم منطقياً الحركة.

بناءً على هذه المعطيات التي تتعلق بنموذج التسلسل الزمني، فإنه بإمكاننا الآن أن نقدم مجموعة استنتاجات التي تلخص كل المراحل التي تجعل من هذا النموذج نسقاً منسجماً مع التصورات الزمنية في اللغة العربية.

(27) - أ - تسلسل الأحداث الزمنية ← التاريخ (الكرنولوجي)  
الأحداث.

ب - استمرار الأحداث الزمنية فيما قبل ← الأحداث السابقة  
اللاحقة للأحداث الأخرى.

ج - استمرار الأحداث الزمنية فيما بعد ← الأحداث اللاحقة  
أو السابقة للأحداث الأخرى.

د - حركة الأحداث الزمنية مع احترام الأحداث الزمنية  
الآخرى ← الوعي بموروث الوقت.

يمكن أن يمعجم هذا النموذج بأفعال من قبيل: ( استمر ، دام ، ناهز ،  
قارب ....)

- مرت علاقتنا بلحظات عصبية .

- عرف المغرب سنوات من المعاناة قبل الاستقلال.

- عرف تاريخ أفريقيا الكثير من الانقلابات .

- استمرت معاناة الشعب الفلسطيني سنوات طوال بسبب الحصار .

3 - أدلة عن البناء التصوري للنماذج المعرفية.

قدم "ايفانز" (2004) مقاربة تصورية للنسق الزمني في اللغة الإنجليزية قصد توضيح أوجه الاختلاف والاختلاف في القيود الموجودة بين النسق الزمني

تصوريًّا وبين ما يمكن أن يكون معرفيًّا ضمن نظرية لسانية حديثة، إلى جانب محاولة مماثلة قام بها "لايكوف وجونسون" (30)، اللذان حاولاً أن يبررا من جهة ثانية إظهار البعد التصوري في بناء النسق الزمني، معتمدين في ذلك على محور الجسد (الذات) في تشكيل النسق الاستعاري الذي يجعل الفضاء في خدمة البنية الزمنية. بصفة عامة، يجب القول إن النسق الزمني يعطي إمكانات كثيرة لدراسة وقراءته بأبعاد دلالية مختلفة، لكن رغم ذلك، فإن هذه القراءات تُقدم بمثابة أدلة ندعم من خلالها الافتراض القائل بوجود مستوى تصوري داخل مستوى النموذج المعرفي للزمن. وهي الأدلة التي نسوقها من بعض الدراسات التي عملت على الاشتغال على هذا المستوى من التحليل، ويرتبط جزؤها الأول بالمستوى التصور المعجمي البسيط الذي يتعلق بالاستنتاجات غير المتوقعة في دراسة موقع الذات (الفرد) ضمن خط التسلسل الزمني وعلاقتها بباقي التصورات الأخرى، أما التصورات المعجمية الثانية فترتبط بالاستلزم الزماني، أما الثالثة فترتبط بذكر بعض الأنماط المميزة للإحالة الزمنية (اي凡ز) (2004).

### 1.3 – استنتاجات غير متوقعة.

تعلق الأدلة الأولى بالترابيب اللغوية التالية:

أ- يتدفق الوقت.

ب- الوقت تدفقات.

ج- ينساب الوقت.

(30) نفى المؤلفان في كتابهما "الفلسفة في الجسد" أن يوجد كائن لغته محض تركيب، محض شكل معزول ومستقل عن المعنى وعن السياق والإدراك والعاطفة والذاكرة والانتباه والفعل، فاللغة البشرية ليست إبداعًا جينيًّا تماماً. فالظاهر المركزية للغة تنشأ تطورياً من النسق الحسي الحركي، ومن أنساق عصبية حفزتنا على فهم أهمية اللاوعي المعرفي وتجسد الذهن والتفكير الاستعاري.

قد نتفق منذ البداية، أن هذه الأمثلة تستلزم نسبة حركة مستمرة، وهي النسبة التي تساعدنا في معجمة الفعل "يتدفق" ضمن مصفوفة زمنية. هي المعجمة التي لا تفصل بين مركزية الذات بالنظر إلى الحركة، وبين المصفوفة الزمنية التي نتصور أن الفعل (يتدفق) ضمنها يرتبط بالمطلق والأبدى.

من الاعتبارات التي يجب التنبية إليها بخصوص هذا التمايز وعلاقته بالبنية التصورية أمران: يتعلق الأول بالإحالة الزمنية التي تُبنى على مركزية الذات وحركتها، ويتعلق الثاني بالإحالة الزمنية التي تؤسس على مركزية الذات وثباتها. لذلك قد نسلم جدلاً في البني الواردة في (28) بوجود نقطة زمنية شبيهة بنقطة الإحالة المؤسسة على مركزية الذات، اعتباراً أن الوقت عندما ينساب / يتذبذب فإنه يتذبذب بشيء ما أو بشخص ما أو بكيان ما، هو أمر غير متوقع بالنظر إلى أجزاء التحليل المقترحة في النماذج التي تحدثنا عنها سابقاً؛ أو لنقل إنها نتائج لا تنسجم مع الخلاصات التي تم الخروج بها من تحليلنا للنماذج المعرفية.

وفي دراسة أوردها "إيفانز" (2004) أكد أن المتكلمين الإنجليز في جمل مثل (28) يحيلون دائماً على نقطة إسناد تفترض وجود مصفوفة زمنية مؤثرة، اعتباراً منهم، بوجود إمكانات تصورية تقودهم نحو اعتبار الذات أحد أهم المكونات التي تتمرّكز ضمن المصفوفة الزمنية، الشيء الذي يعطي الانطباع أن الذات والزمن يصطفان ضمن منطق تسلسلي بشكل يكاد يكون شبيهاً بصورة وجهًا لوجه الفضائية، لأن الزمن في الإنجليزية يتصور بلغة الفضاء، لكن الغريب أن الجملة لا تحمل أي مؤشرات تجعلنا نسلم بهذه القراءة، كما ضيّ تاريني لا يشفّر من الناحية اللغوية بالنظر إلى العائد.

نجد هذا المعطى متجلساً عند الذين يتكلمون اللغة العربية بطريقة معيارية أيضاً، لأن التفاصيل الأنطولوجية للأشياء تجعلنا نتصور الزمن وكأنه عبارة عن أشياء وكيانات وموقع وحركة مقابلة للفضاء، الشيء الذي يفسر أن

المتكلمين يستمدون القراءة التي تحتوي على إمكانية تحقيق مواجهة بين الذات والمصفوفة الزمنية التي تم اقتراحها في المثال (27) من إيجاد نفس الفهم الذي كان يشتق من التخطيط أو النموذج المعرفي التقليدي المبني على الحدس، بعبارة أخرى، إن هذه القراءة تفرز نموذجاً معرفياً بوحدات مشفرة متمثلة في الذات ونقاط الإحالة التي تؤشر على حركة زمنية مبنية على التجربة، الأمر الذي يُسر فهمنا للمثال ويهمنا إمكانات تأويله تأويلاً يراعي ذلك الدمج الممكن بين الذات وتجربة، وبهذا ندرك أن المصفوفة الزمنية لا يمكن أن تنشأ على أساس دليل لغوٍ، الأمر الذي يبرر أن غنى البنية التصورية لا ينحصر في ارتباكها على الدلالة اللغوية، بل في ارتباكها على استنتاجات الإدراك والفعل غير اللغوين<sup>(31)</sup>.

### 2.3 – الاستلزم الزمني.

يتعلق الدليل الثاني بالاستلزم الزمني الذي يمكن أن يستنتج ويستخلص بصورة حاسمة ومشروطة، ولكي يتم توضيح الأمر قد نقرّ منذ البداية بوجود بعض الاستلزمات التي لا يمكن أن تكون تابعة لمفاهيم معجمية أحادية، على سبيل المثال، اقتران حالة الحركة المستقرة بمدة تجربة المادة، لكي نشير إلى اعتقاد يقرأ النسق الزمني من زاوية أن كل الأشياء في الكون تبدو متساوية، فمعنى المدة لا يمكن أن يفصل، تقليدياً، عن بقية المفاهيم المرتبطة بحالة الحركة المستقرة، لأن معنى المدة فصل تحديداً ليحيل على مفاهيم مرتبطة بالطول أو القصر، كما هو موضح في السياقات التالية:

(29) - أ - مرّ علي وقت طويل لم أرك فيه.

ب - مرّ الوقت في لمح البصر.

ج - مُنحتْ وقتاً قصيراً لاتخذ قراري.

(31) محمد غاليم (2007)، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، ص، 33.

الملاحظ على هذه البنى أنها تخضع لقاسم مشترك مبني على قراءة المدة، هذه القراءة التي توزع، استلزم امياً، لمعنىين أساسين للحركة: يتمثل الأول في "الحركة البطيئة" والثاني متجسد في الحركة "الطويلة"، هو الاستلزم الذي يفرضه تأويل المثال (29أ)، في مقابل (29ب) و(29ج) اللذين يحيلان على قصر وبطء مدة الحركة. وبسبب تكامل هذين التفريعين ضمن نموذج تحرك الزمن نجد استلزم آخر يتعلق بأن مدة التجربة العادية الخاصة بنا يمكن أن تختص بحالة مستقرة أو حركة معتدلة، هو الاستلزم الذي يظهر جلياً في نموذج تحرك الزمن الذي ينسبة "نيوتون" إلى مفهوم "الزمن المطلق"<sup>(32)</sup>، يوفر هذا النوع من الاستلزم دليلاً على وجود مستوى مختلف للتمثيل العقلي يفوق مستوى المفاهيم أو التصورات المعجمية، إذ يشترط في كل استلزم أن ينظر إليه من خلال "التكامل" الحاصل بين كل التصورات والمفاهيم المعجمية التي تختلف النموذج، لكن مع الإشارة إلى أن تكامل كل هذه التصورات والمفاهيم المعجمية يتم إخراجها ضمن نموذج معرفي واحد متضمن لاستنتاجات استلزمية.

### 3.3 – الأطر المرجعية للنماذج المعرفية.

ترتبط سلسلة الأدلة الثالثة بالأطر المرجعية للإحالة الزمنية المستعملة في اللغة العربية، فقد وقفنا عند ثلاثة نماذج معرفية قمنا بفحصها بأطر مختلفة، ويظهر هذا بعد من خلال تكامل عدد من التصورات المعجمية لوقت رغم اختلافها، بدلاً من اشتغالها بشكل فردي، علاوة على ذلك، فاللغة العربية إلى جانب لغات كثيرة أخرى توفر على ثلاثة أطر مرجعية مقتربة وجدناها تشتعل على تحديد التجربة الزمنية بشكل دقيق ومحدد إلى جانب رصد معلم الحدث، مع مراعاة تجربة الذات مع "الآن" ، وقد ييدو أن هذه المعلم تتمثل بطرق مختلفة، إذ تبدو التجربة الزمنية في نموذج تحرك الزمن متحركة وتشكل محطة مدركة

(32) كريستوف بوميان(2009)، نظام الزمان، ص، 406.

ومفهومه بالنظر إلى أن الذات تكون ساكنة أو ثابتة كالأرض لتقدود المعطيات إلى تحديد الحدث الزمني (الخاص)، أما في نموذج تحرك الذات، فإن المعطيات تقدم توقع الذات، فهي الوجه الذي يتقلّب عبر الزمن محدداً وجهته، ومدركاً عبر سيرورة معينه موقعه داخل خريطة الزمن، أما النموذج المعرفي الثالث، فإنه يتمظهر في نموذج التسلسل الزمني، الذي أسس على معطيات معرفية تسعى إلى القول إنه غير معني بتحديد الأحداث أو اللحظات الزمنية بالنظر إلى موقعه الذات، فهذا النموذج يوفر إمكانات تقويم العلاقات المبكرة أو الحديثة، إذ يعمل على ربط الأحداث بعضها ببعض، ويعمل أيضاً على فرض تسلسل للحركة الزمنية عبر وسيط التعاون والتعاقب الكرنولوجي.

فهذه الأنماط الثلاثة المميزة للإحالة الزمنية، جعلت اللغة العربية تكشف عن ثلاثة أنواع من النماذج المعرفية التي تضبط سياقها وسلوك إحالتها الزمنية، وتعطي إمكانات لتقدير التجربة بالنظر إلى أوجهها المختلفة مع الزمن.

## خاتمة

حاولنا في هذا البحث أن نقدم بعض النماذج المعرفية التي يختص الزمن بتوظيفها، من خلال التركيز على مجموعة من الملامح العامة التي تساعدننا في فهم الزمن ومنسقته، فإذا كان الزمن في اللغة العربية يُتصور معرفياً بلغة الفضاء، فإنه لا يمكن أن يؤشر عليه إلا من خلال الكيانات والأمكنة والحركة، لذلك يوجد الزمن والذات في المكان نفسه مما يقتضي أن تخترق حركة الزمن الذات باعتبارها كيانات متحركة بالنظر إليها، فتعمل على توجيه الزمن نحوها، فتشكل سرعة الزمن بالنظر إلى الذات، هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فيمكن أن تكون الأزمنة موضع ثابتة والذات تتحرك إليها فتخترقها ليكون للزمن امتداد يمكن

قياسه، إذ يمكن أن نتصوره كياناً ممتدّاً شأنه في ذلك شأن الأمكنة، مما يجعله موسوماً بالحدودية.

يُظهر هذا التمايز في تفاصيل بناء النماذج المعرفية للزمن أنه لا يمكن الاقتصار على أحد هما دون الآخر في بناء الإحالة والإشارة إليها، فإذا كان الزمن يُفهم (استعارياً) بلغة الحركة والكيانات والواقع، فإن ذلك يتماشى مع معلوماتنا البيولوجية، فنحن نتوفر في نسقنا البصري على مجموعة من الآليات (الميكانيزمات) المعرفية التي تساعدنا على اكتشاف الحركة والأشياء والأحداث، إلا أن الأمر لا يمكن أن ينطبق على الزمن إلا من الزاوية التي تربطه بلغة الحركة، فتكون النتيجة الطبيعية لهذه الخلاصة أن بنية السق المعرفي للزمن بنيّة بيولوجية تساهُم في تحديد الاستنتاجات المجردة حول المقاييس التي يفترض من خلالها مرور الزمن في علاقته بالذات إن حدّدها. لقد أظهر "جاكندوف" (83)، "لايكوف وجونسون" (99)، "إيفانز" (2004) أن الزمن مُبنيّ معرفياً بمفاهيم فضائية، وأن تحديد الواقع يتم بالطريقة نفسها التي يتم بها تحديد الزمن، ويتجلى ذلك من خلال تصوراتنا الزمنية التي تنكشف بناء على توقع الماضي وراء الذات، والمستقبل أمامها، يدفعنا الأمر إلى اعتبار الماضي والمستقبل أنساقاً تصورية (استعارية) تعكس تصورنا الحركي للزمن، إذ يمضي بينما نقف نحن لمستقبله، فالزمن كيان يتحرك في اتجاهنا ويخترقنا في حركته، والمستقبل يتحرك في اتجاهنا فمستقبله ويمضي بنا مخترقاً ذاتنا، قبل وصوله إلينا ليكون أمامنا، غير أنّا بينما تبعاً لـ"إيفانز" (2004)، "لايكوف وجونسون" (80)، "لايكوف وجونسون" (99)، أن الأزمنة تتوالى وتعاقب بالنظر إلى الذات التي تظل ثابتة، لذلك فإن التركيب التي نتتجّها تراعي بشكل كبير هذه النماذج، ولا يمكن أن تؤطر خارجها.

- سأسافر الأحد المقبل (زمن متّحرك، الذات ثابتة).

- سأحتفل بعيدِي ميلادي بعد غد (زمن ثابت ، الذات متّحركة).

ما يمكن أن نخلص إليه هو أن الزمن كيان مستمر التطور، قد يخترقنا وقد نخترقه، لكنه ينظّم سيرورات تفكيرنا حوله، ويساهم في جعلنا نحيا معه بنوع من الحوسبة الدقيقة لأفعالنا وأحداثنا، إذ يجعل منا ذواً لها قيمة إحالية كبيرة، بل إنه يمنحك فرصة أن تكون ذواً فاعلة ومؤطرة لنا إمكانية القبض عليه وتطويعه من خلال التأثير إلى اللحظة والمدة والفترة والحدث، إلى جانب الماضي والحاضر والمستقبل، واعتبارها تصورات استعارية كبرى، لذلك فلا يمكن أن ننظر إلى الزمن بمعزل عن باقي المكونات الأخرى التي تتحدث عن اليوم والشهر والسنة لأنها تساعدننا في تسلسلها على تقييم العلاقات التي ترتبط بالسلسل الزمني في مطلقه.

### المراجع العربية

- 1 - عبد المجيد جحفة (2011)، *أجسادنا في الفضاء تولد الاستعارات، ضمن الاستعارة والمعرفة، مختبر اللسانيات والتواصل، إعداد خالد برادة، عبد المجيد جحفة، منشورات المختبر، كلية الآداب،بني امسيك – البيضاء.*
- 2 - عبد المجيد جحفة (2000) ، *مدخل إلى الدلالة التوليدية*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
- 3 - عبد المجيد جحفة (2006) ، *دلالة الزمن في اللغة العربية، دراسة النسق الزمني للأفعال*، دار توبقال للنشر، المغرب.
- 4 - كاستون باشلار (92)، *جدلية الزمن*، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بيروت ، لبنان.
- 5 - كريستوف بوميان (2009)، *نظام الزمان*، ترجمة بدر الدين عروductory ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 6 - لايكوف و جونسون (1980)، *الاستعارات التي نحيا بها*، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب.
- 7 - محمد غاليم (2007)، *النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة*، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
- 8 - محمد غاليم (2001)، *سمات جيئية في الأشياء والأوضاع، أبحاث لسانية*، المجلد6، العدد 2، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط.
- 9 - محمد الملاخ (2010)، *الزمن في اللغة العربية، بنياته التركيبية والدلالية*، دار الأمان، الرباط.

## المراجع الأجنبية

- 1 - Evans, V. (2005). **The Meaning of Time**: polysemy, the lexicon and conceptual structure. *Journal of Linguistics*.
- 2 - Evans, V. (2004). **The Structure of Time**: Language, Meaning and Temporal Cognition. Amsterdam: John Benjamin.
- 3 - Haspelmath,M (1997). **From Space to Time**, Lincom EUROPA, München, Newcastle.
- 4 - Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). **Metaphors We Live By**. Chicago: University of Chicago Press.
- 5 - Radden, Günter. (2003). **The Metaphor TIME AS SPACE across Languages**. Julia ,(eds.)Hamburg.